سيناريو فلم "قيصر"

والذي يحكي عن الرجل صاحب الاسم المستعار قيصر، الذي يعمل مصور جنائي في الشرطة العسكرية السورية، يلاحظ على جثث المعتقلين آثار التعذيب، فيقوم بمهمة سرية مع صديقه سامي لتوثيق صور تلك الجثث، والتي انتهت بتوثيقه 55 ألف صورة، واعتماد الكونغرس الأمريكي قانون قيصر الذي ينص على إدانة الحكومة السورية لجرائمها في حق المدنيين

- **مدته الزمنية:** 40 دقيقة
- **تأليف:** سُعاد جبر

خارجي، أحد شوارع دمشق، نهار

شارع يكتظ بالناس، يُسمع صوت أبواق السيارات، وهتافات تطالب برحيل الأسد حتى يُسمع صوت قنابل الغاز المسيلة للدموع وأزيز الرصاص، فيركض الجميع في كل الجهات وسط خوف وذعر من الجميع.

قيصر: رجل طويل القامة، شديد البياض، يحب عمله ومخلص ومتفاني فيه، لا يقبل الظلم على نفسه ولا غيره.

قيصر (تعليق صوتي)

تفيض شوارع دمشق بدماء مناهضي الثورة، وسط صمت يسكن الجميع، وسط صمت الشجر والحجر كنا نعيش، فكان لصور جثث الموتى الصوت الوحيد الذي أحدث في داخلنا الكلمة.

خارجي، بوابة أحد السجون، نهار

نشاهد العسكر المسلحين موزعين حول بوابة حديدية سوداء اللون، وسط حراسة مشددة لمن يدخل ويخرج، تمر مركبة قيصر متجهة نحو البوابة، تكون الكاميرا في داخل السيارة خلف مقعد قيصر.

الحارس

بطاقتك من فضلك

قيصر (يمرر له البطاقة)

الحارس

تفضل

داخلي، مبنى السجن، نهار

نرى مبنى ترابي اللون، نلاحظ تقشر طلاء جدرانه، يحتوي على نوافذ مستطيلة بشكل أفقي صغيرة الحجم، وعلى فِناء خارجي واسع، وبوابة يتبعها طابق أرضي يحتوي على مكاتب الضباط، والغرف التأديبية، كما يتكون المبنى من 4 طوابق.

تمر الكاميرا خلف قيصر أثناء مروره بالغرف التأديبية، نسمع فيها صرخات وتوسل من المعتقلين وسط قهقهة جلاديهم بشكل سريع ثابت، يشاهد قيصر أجساداً معلقة عارية لم تغطى إلا بقطعة قماشية

تستر عورتها، وأجساداً نحيلة ضعيفة تغمرها الدماء والرضوض، وأعضاء مبتورة، وأظافر مقلعة، وجثث شبه محروقة.

أحد العسكر (يصرخ على جثث الموتى)
هل تريدون الحرية أيها الكلاب، تفضلوا هذه الحرية.
قيصر (تعليق صوتي)
في تلك اللحظات التي شاهدت فيها الموت وأحسست بمجيئه، لم أكن إلا مشدوهاً مرتعش الجسد، ثمة فظاعات ترتكب في هذا العالم قد تُقيد ألسنتنا عن الحركة.

داخلي، فِناء السجن، نهار
نشاهد رمي للجثث فوق بعضها البعض وسط الأتربة وبقايا المطر التي تسكن المكان، وتفحص عين قيصر لحال تلك الجثث، يليها شرود لحظي لعينه نحو الأرض، ثم مسارعته في ابعاد هذا الشرود.
تقترب الكاميرا من أحد الضباط تظهر فيه بدانته، وجيوبه الممتلئة بكيابل التعذيب ويداه التي تميل للون الأحمر.

أحد الضباط
تعال أيها المصور، وابدأ من هذه الجثة وفور انتهائك من ذلك، مر للغرفة رقم 2 بالطابق الأرضي لنفرز الصور.
تأتي الكاميرا خلف قيصر ببطء شديد وتتبع حركة قيصر، تتجه نحو الجثة الأولى وتمر حول جسدها، وتكرر تلك اللقطة إلى أن يصل للجثة الثالثة.
خارجي، سيارة قيصر، بعد الظهر
يمر قيصر على أحد التجمعات، يشاهد القوى العسكرية وهي تجر إحدى السيدات، وسط صراخ أطفالها لنقلها لأحد السجون
يستمر قيصر بالتحديق، حتى تغمر دموعه عيناه، ويقف بمركبته أمام أحد الأرصفة، ويتصل على صديقه سامي.
سامي: كاتب صحفي، يعمل بأحد الصحف الإلكترونية الشعبية، يحب التقصي والبحث، معتدل الطول، شديد حمرة الوجه.

قيصر

سلام سامي، هل أنت متفرغ هذا اليوم؟

سامي

إنني مشغول الآن، هل كل شيء على ما يرام؟

قيصر

لا، لا تقلق فقط أود الحديث معك بشكل مطول.

سامي

سأمر عليك بعد انتهاء عملي إلى اللقاء.

داخلي، بلكونة شقة قيصر، ليل

تطل البلكونة على بناية مشابهة لها، تحجب السحب ضوء القمر، نرى تراكم سحابي يخبر بقرب هطول المطر، يحتسي قيصر الشاي في انتظار قدوم سامي، يُطرق الباب فيسارع قيصر لفتح الباب.

سامي

أهلاً آمل أنني لم أجعلك تنتظر كثيراً، العمل كان متعب هذا اليوم، كيف حالك؟

قيصر

بخير، أتعلم وأنا أيضاً كان يومي ثقيلاً مرهقاً.

سامي

إنني أسمع الكثير من الأحاديث التي تدور حول كثرة الاعتقالات التي يقوم بها النظام بحق المدنيين، وإنني أود كتابة خبر عن أحد الأطفال والذي تم اعتقاله في سجن صيدنايا، إنه طفل صغير كيف يعتقل؟

قيصر

إنني أتصور ما يعايشه في هذه اللحظة، لقد كنت شاهداً على موت الكثير من المعتقلين هذا الصباح.

سامي

ماذا؟ هل تم تصفيتهم بشكل جماعي دون محاكمة؟

قيصر

لا، بل كان يطبق عليهم عذاب ممنهج امتد لأسابيع وشهور، لقد كان كل جسد منهم قد عايش عذاباً يوازي عذاب الآخر بالفظاعة.

سامي

ما الذي تنوي فعله الآن؟

قيصر

أود أن يعلم الناس بهذه الفظاعات، أفكر أن أحتفظ بهذه الصور، إن الكثير من الأهالي لا يعلمون عن مصير أبنائهم أهم أحياء أو أموات.

سامي

أؤيدك فيما تقول، لكن أشعر أن هذه المهمة تتطلب منك التضحية بكل ما تملك، يجب عليك التفكير بكل ما تخشى فقده.

قيصر

صدقني لم أعد قادر على التفكير بشكل صحيح، كل ما أفكر فيه الآن هو شعوري بالذنب، وبأنني كنت أداة صامتة استخدمها النظام لإخفاء جرائمه، إنني كنت اليوم كشيطان أخرس.

سامي

دعك من هذا، جميعنا أصبحنا شياطين خرساء، إن استبداد النظام الوحشي لا يُدينك، بل يُدينه وحده.

يتوقف الحديث بصمت قيصر، يستمر سامي في التحديق لوجهه، نشاهد صورة معلقة بمنتصف الغرفة المطلة على البلكونة ويظهر أنها لعائلة قيصر.

تلتفت عين قيصر نحو الصورة، فتلتقط الكاميرا الصورة بشكل بعيد لا تتضح وجوه من فيها، وينتهي المشهد بشرود قيصر بالمبنى المقابل لشقته.

داخلي، فِناء السجن، نهار

وسط الدخان المتصاعد من سجائر الضباط يطفئ أحد الضباط سيجارته في أحد الجثث ويستمر الضباط الآخرين بتقليده حتى يطلب قيصر ابتعادهم لحساسيته من رائحة السجائر.

أحد الضباط (يلاحظ انزعاج قيصر)

مقدر لك انزعاجك من تلك الروائح النتنة، فقد مر أربع أيام على فطسة هؤلاء الخونة.

يظهر قيصر مرتبكاً يحاول إنهاء الحديث لكي يستطيع حفظ الصور قبل أن يستدعيه ضابط الغرفة رقم 2.

داخلي، الدور الأرضي، نهار

يدخل قيصر الغرفة رقم 2 يعطي الصور للضابط ويدعوه الضابط لشرب الشاي معه، يرفض قيصر ويستكفي بأخذ قطعة من الخبز المحمص.

داخلي، الدور الأرضي، نهار

في أحد ممرات الطابق الأرضي يصادف قيصر أحد السجانين، والذي كان يعرفه من الدورة العسكرية التي التحقا بها، يطلب منه مساعدته لإنزال جثة لأحد المعتقلين.

السجان

يا ابن دورتي، أحتاج مساعدتك لإنزال أحد الجثث من الدور الثاني، فالسجان المساعد لي منهمك في ضرب أحدهم.

قيصر (يتبع السجان دون أن يحادثه، ويضع الخبز في جيبه)

داخلي، الدور الثاني، نهار

يتجه قيصر مع السجان نحو الزنزانات، نرى مكان شديد العتمة، ضوء الشمس فيه خافت لا يكاد يرى، وزنزانات ضيقة الاتساع، تتكون من أبواب حديدية متصدية، نسمع ضرب صوت الباب من المعتقلين تُفتح الزنزانة نشاهد جسد نحيل، يبرز قفصه الصدري، ويحاوط عيناه وشفتيه اللون البنفسجي، يقوم السجان وقيصر بإخراجه من الزنزانة، فتقع عين قيصر على مجموعة من المعتقلين وسرعان ما يبعد عينه عنهم.

يرمي قيصر قطعة الخبز مجزئة على إحدى الزنزانات وقت انشغال السجان بإغلاق الزنزانة المقابلة لها ومن ثم يخرجون حاملين الجثة.

قيصر (تعليق صوتي)
تلك النظرة الخاطفة التي استرقتُ فيها كل ما حاول النظام إخفائه، أوجبت أن أُظهر هذا الإجرام، وإن حاوطني الخوف على نفسي وعائلتي كنت أرى أن هذا هو المنفذ الوحيد الذي بإمكاني عبوره وليس لدي سواه.

داخلي، شقة قيصر، ليل
في منتصف الليل، نسمع صوت الطائرات الحربية، وسط اجتماع لقيصر وسامي يقومون فيه بجرد الصور بشكل نهائي.

قيصر
لقد وصل عدد الشهداء المعتقلين لما يقارب من 11 ألف شخص، و55 ألف صورة بمعدل أربع صور تحديداً لكل شخص.
سامي
ليرحمهم الله جميعاً، لقد تواصلت مع أحد الأشخاص البارزين في المعارضة وأخبرته بحاجتنا لمساعدتهم لنا للخروج من سوريا.
قيصر
كيف عرفتهم على نفسك؟ أرجوك لا تقل إنك أخبرتهم باسمك الحقيقي.
سامي
نعم، لا يمكنهم الوثوق بي إن لم أخبرهم بمن انا، فالجميع يخشى أن أكون أعمل مع النظام.
قيصر (يفرقع أصابعه)
ألا تعلم حجم الخطورة في ذلك، ماذا لو أُعتقل أحدهم سيجبرونه على الإفصاح، لا أود المخاطرة في ذلك.
سامي
إنني أتفهم قلقك، لكن ليس لدي طريقة اخرى، لقد أرهقك التفكير، توقف وخذ لك قسطاً من الراحة.

خارجي، حافلة، نهار
نرى حافلة صغيرة الحجم، يقودها رجل في الثلاثين من العمر، بجانبه سامي يليه قيصر، خلف المقعد الأمامي نشاهد نساء وأطفال ويظهر أنهم عائلة قيصر.

تمر الحافلة على أحد المباني فتقع عين قيصر على جدار متصدع، ساقط جزءاً منه، مكتوب عليه بلون أسود:
"سنصمد حتى يفر الموت من موتنا وتعانق الحرية أرواحنا" .

تسير الحافلة بأحد الطرق التي تمتلئ بنقاط التفتيش، يعيش كل من الحافلة حالة من الخوف والترقب، نسمع صوت ضرب المطر بالنافذة وسط صمت الجميع، نرى شرود قيصر الذي لم يوقف عيناه عن النظر نحو النافذة والشوارع.

قيصر (تعليق صوتي)
بدت معالم الوداع الأولى، كان يوم شديد البرودة، تلحفت فيه السحب غطاءها الرمادي وهطلت حزناً على ضحايا المعتقلات، وسط صمتنا جميعاً كانت السحب تبكي وطني.

مزج إلى شاشة سوداء يكتب أسفلها
"تم الإدلاء بشهادة قيصر أمام لجنة العلاقات الخارجية لمجلس النواب الأمريكي، وفي تصويت وافق فيه أعضاء مجلس الشيوخ الامريكي بتفويض عقوبات واسعة على سوريا، جاء التفويض فيها تحت اسم قانون قيصر لحماية المدنيين في سوريا"

"ستنتهي الحرب ويتصافح القادة، وتبقى تلك العجوز تنتظر ولدها الشهيد، وتلك الفتاة تنتظر زوجها الحبيب، وأولئك الأطفال ينتظرون والداهم البطل، لا أعلم من باع الوطن ولكنني رأيتُ من دفع الثمن" .
محمود درويش